

## مقدمة كتاب العلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل للدين أعلاماً ، وللحق منابر وأقلاماً ، وجعل أهل العلم في الدجى مصابيح ، وصدورهم لما في بطون الكتب خزائن ومفاتيح ، حملوا من بين خلق الله لواء السنة ، وكانوا سيفاً وختاجر في خاصرة الفتنة .

هم أهل النبي لا بالنفس لا بل بالأنفاس ، تشرفوا باتباعه فضلاً عن شرفهم بـ {**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرَجْتَ لِلنَّاسِ**} ، فكانوا للهـى هـمـ المـنـارـاتـ والنـبرـاسـ .

قدّموا كلام الله ورسوله فكانا لهم الرأـيـةـ وـالـدـلـيلـ ، وـنـهـجـواـ سـبـيلـ الصـحـبـ وـمـاـشـاـقـقـواـ ؛ـ إـنـ سـبـيلـهـمـ هـوـ السـبـيلـ .

بذلوا لأجل رفعة السنة الغالي والنفيس . ودفعوا في صدور المبتدعة وأهل الرفض المناهـيـسـ ،ـ فـمـاـ كـانـ يـرـىـ لـهـمـ رـاـيـةـ أـوـيـسـمـعـ لهمـ حـسـيـسـ .ـ نـهـضـواـ فـيـ عـصـرـ تـشـعـبـتـ فـيـهـ الـفـتـنـ ،ـ وـكـثـرـتـ فـيـهـ الـمـحـنـ ،ـ وـأـمـتـلـأـتـ الـقـلـوبـ بـالـضـعـفـ وـالـوـهـنـ ،ـ فـمـاـ تـوـاـكـلـوـاـ أـوـ تـكـاسـلـوـاـ .ـ بـلـ عـلـىـ اللـهـ تـوـكـلـوـاـ وـبـالـعـلـمـ وـالـهـدـىـ اـشـتـدـوـاـ وـتـبـاسـلـوـاـ .

رغـبـواـ فـيـمـاـ عـنـدـ اللـهـ مـنـ أـجـرـ ،ـ وـقـضـواـ فـيـ الـعـلـمـ وـالـدـعـوـةـ أـعـمـارـهـمـ ؛ـ فـنـعـمـ مـاـيـقـضـىـ بـهـ الـعـمـرـ .ـ وـزـهـدـواـ فـيـ الـفـانـيـةـ وـلـمـ يـلـهـمـ مـاـفـيـهـاـ منـ زـخـرـ وـسـحـرـ ،ـ فـأـتـهـمـ رـاغـمـةـ فـطـلـقـوـهـاـ وـأـدـارـوـلـهـاـ الـظـهـرـ .ـ وـلـسـانـ حـالـهـمـ يـقـوـلـ :ـ يـادـنـاـ غـرـيـ غـيـرـيـ ،ـ غـرـيـ غـيـرـيـ ؛ـ كـمـاـ قـالـهـاـ عـلـىـ بـنـ فـهـرـ .

وـصـلـىـ اللـهـ وـمـلـائـكـهـ وـالـخـلـقـ أـجـمـعـيـنـ ،ـ صـلـاـةـ مـوـصـوـلـةـ إـلـىـ يـوـمـ الدـيـنـ ،ـ عـلـىـ الرـحـمـةـ الـمـهـدـةـ لـلـعـالـمـيـنـ ،ـ مـحـمـدـ بـنـ عـبـدـ اللـهـ النـبـيـ .ـ عـرـبـيـ الـأـمـيـنـ ،ـ وـعـلـىـ آـلـهـ وـأـصـحـابـهـ أـجـمـعـيـنـ .

أـمـاـ بـعـدـ ؛ـ فـقـدـ كـانـ شـيـخـنـاـ الشـيـخـ مـقـبـلـ بـنـ هـادـيـ الـوـادـعـيـ -ـ رـحـمـهـ اللـهـ -ـ أـحـدـ هـؤـلـاءـ الـأـعـلـامـ الـذـيـنـ جـاهـدـوـاـ فـيـ اللـهـ حـقـ جـاهـدـهـ وـقـضـىـ عـمـرـهـ فـيـ الـعـلـمـ وـالـدـعـوـةـ دـوـنـ كـلـلـ أـوـ مـلـلـ ،ـ وـتـرـكـ آـثـارـاـ عـظـيمـةـ تـدـلـ عـلـىـ مـاـ قـدـمـهـ مـنـ دـعـوـةـ وـخـيـرـ لـلـإـسـلـامـ وـالـمـسـلـمـيـنـ ،ـ وـمـنـ هـذـهـ الـآـثـارـ كـتـابـ "ـ الـجـامـعـ الصـحـيـحـ مـاـ لـيـسـ فـيـ الصـحـيـحـيـنـ"ـ ،ـ وـهـوـ كـتـابـ عـظـيمـ فـيـ بـابـهـ ،ـ نـافـعـ فـيـ مـضـمـونـهـ ،ـ وـقـدـ رـضـيـهـ وـأـقـبـلـ عـلـيـهـ طـائـفـةـ مـنـ الـعـلـمـاءـ وـطـلـبـةـ الـعـلـمـ ،ـ فـلـذـكـ أـحـبـتـ تـتـمـيمـ الـفـائـدـةـ بـالـكـتـابـ بـتـشـرـحـهـ شـرـحـاـ مـيـسـرـاـ مـخـتـصـرـاـ .ـ وـأـسـأـلـ اللـهـ -ـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ .ـ أـنـ يـنـفـعـنـيـ بـهـ وـالـمـسـلـمـيـنـ فـيـ الـدـنـيـاـ وـالـآـخـرـةـ .

بـدـأـ شـيـخـنـاـ -ـ رـحـمـهـ اللـهـ -ـ كـتـابـهـ بـكـتـابـ الـعـلـمـ ؛ـ اـقـنـدـأـ بـكـتـابـ اللـهـ تـبـارـكـ وـتـعـالـىـ؛ـ حـيـثـ كـانـتـ أـوـلـ آـيـةـ نـزـلـتـ مـنـهـ ؛ـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ :ـ {ـ أـقـرـأـ بـاسـمـ رـبـكـ ...ـ}ـ [ـ الـعـلـقـ:ـ1ـ]ـ ؛ـ وـهـيـ تـحـثـ عـلـىـ الـعـلـمـ ،ـ كـمـاـ نـبـهـ عـلـىـ ذـلـكـ فـيـ مـقـدـمـةـ كـتـابـهـ .

وـلـقـدـ كـانـ -ـ رـحـمـهـ اللـهـ -ـ حـرـيـصـاـ عـلـىـ اـتـيـاعـ الـكـتـابـ وـالـسـنـةـ ،ـ وـحـرـيـصـاـ عـلـىـ أـنـ لـاـ يـعـمـلـ عـمـلـاـ إـلـاـ وـلـهـ فـيـ دـلـيلـ مـنـ الـكـتـابـ أـوـ الـسـنـةـ .

وـسـأـبـدـأـ -ـ إـنـ شـاءـ اللـهـ -ـ بـشـرـحـ هـذـاـ الـكـتـابـ النـفـيـسـ ؛ـ خـدـمـةـ لـسـنـةـ نـبـيـنـاـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ،ـ وـتـتـمـيمـاـ لـلـفـائـدـةـ بـعـمـلـ شـيـخـنـاـ -ـ رـحـمـهـ اللـهـ .ـ وـسـأـقـدـمـ شـرـحـ المـتـنـ عـلـىـ شـرـحـ الـإـسـنـادـ ؛ـ لـأـنـ الـكـثـيرـ مـنـ النـاسـ لـاـ يـهـمـهـ الـنـظـرـ فـيـ الـإـسـنـادـ ،ـ وـإـنـاـ يـهـمـ طـائـفـةـ مـنـهـمـ ،ـ وـالـأـكـثـرـوـنـ يـهـتـمـوـنـ بـمـتـنـ الـحـدـيـثـ لـيـفـهـمـوـاـ الـمـرـادـ مـنـهـ .

وـسـأـحـاـولـ فـيـ شـرـحـيـ هـذـاـ أـنـ لـاـ أـطـيلـ ؛ـ حـيـثـ إـنـ الـمـقـامـ لـاـ يـتـسـعـ لـذـلـكـ ،ـ وـفـيـ الـوـقـتـ ذـانـهـ ؛ـ لـنـ أـخـتـصـ اـخـتـصـارـاـ مـخـلـاـ بـالـمـقـصـودـ ،ـ وـالـلـهـ الـمـوـفـقـ لـكـلـ خـيـرـ .

(كتاب العلم ) (1)

كتاب : الكتاب في اللغة هو الجمع : يقال : كتبت الشيء ، أي : جمعته ، ومنه الكتابة، وهي جمع الحروف بعضها إلى بعض .

واصطلاحاً : اسم لجملة مختصة من العلم مشتملة على أبواب وفصول غالباً .

العلم لغة : ضد الجهل ، والمراد هنا : العلم الشرعي : وهو علم ما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم من البيانات والهدى .

قال شيخنا مقبل الوادعي - رحمه الله - :

(فضل أهل العلم)

أي : هذا باب نذكر فيه الأحاديث التي تبين فضل أهل العلم .

والباب في اللغة : هو : الطريق إلى الشيء والموصل إليه. وباب المسجد والدار ؛ ما يدخل منه إليه .

وفي الاصطلاح : اسم لجملة مختصة من الكتاب .

فضل أهل العلم : أي إثبات خيرية علماء الشريعة و منزلتهم الرفيعة . وقد ثبت فضلهم بأدلة كثيرة من الكتاب والسنة ، ذكر شيخنا - رحمه الله - شيئاً من السنة في ذلك ، ونحن نذكر بعض الآيات ؛ الدالة على ذلك من باب تكثير الأدلة: قال الله - تبارك وتعالى - : **{إنما يخشى الله من عباده العلماء}** [ فاطر : 28 ] . وقال : **{يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات}** [ المجادلة: 11] . وقال : **{قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون}** [ الزمر: 9] . وقال : **{وَقَالَ رَبُّ زَدْنِي عِلْمًا}** [ طه: 114] . هذه الآيات تدل على فضل العالم ومكانته عند الله - تبارك وتعالى - ، وأنه رفعه درجات في الدنيا والآخرة فيبقى ذكره في الدنيا ، ويرفعه في الآخرة . وكذلك تدل على عدم تسوية العالم بغير العالم ؛ بل العالم أرفع منزلة . ومن صفات العالم أنه يخشى الله - تبارك وتعالى - ، فمن لم تتحقق فيه الخشية ؛ لا يكون عالماً مستحقاً هذه الفضائل ، ولو حصل ما حصل من العلم بواطن به ولا يوثقه ولا يعلم ، ولا يبارك له فيه . إذا علمنا مكانة العالم وفضله ؛ فينبغي علينا معرفة من هو العالم ؛ كي ننزله منزلته التي أنزله الله إليها ، وقد حصل تخيّط شديد في زمننا هذا - بسبب شدة جهل أهل هذا الزمان وبعدهم عن دينهم - في معرفة من هو العالم ، وعمّن يؤخذ الدين ، ومن يولى أمر الإفتاء في المسائل الشرعية الحادثة وغير الحادثة ، فالناس اليوم اتخذوا القصاص والوعاظ والخطباء علماء يستفونهم فيما دقّ وجل من المسائل النازلة بهم ، وأولئك ذاقوا طعم الرياسة والواجهة فأفتووا فضلوا وأضلوا ، مصداقاً لما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم : " إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور العلماء ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ... " . (2) فنحن نعرف العالم **{ليهلك من هلك عن بيته ويحيى من حي عن بيته}** [ الأنفال : 42] . قال ابن القيم - رحمه الله - :

"العلم معرفة الهدى بدليله ... ما ذاك والتقليد يسْتُوْيَان" . قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين (3) : "فالعالم هو الذي يعرف **العلم الحق بالدليل** ، والعلم قد يكون علمًا واسعًا يعرف الإنسان غالب المسائل ، **وما لا يعرفه منها فعنه قدرة على معرفتها**" . ... قلت : ويعرف العالم بتزكية العلماء له وثنائهم عليه ؛ فغير العلماء لا يستطيعون التمييز بين العالم وغيره من يتكلّم في علوم الشريعة ، والواجب على كل مسلم أن لا يسأل في أمور دينه إلا شخصاً يثق بعلمه ودينه ، ولابد أن يجتمع في العالم حتى يكون أهلاً للسؤال عن دين الله ، ولا يكفي واحد منهمما لأن تحالف واحدٍ منهمما يؤدي إلى الصالل ؛ لأن الفاسق لا يتورّ عن الفتوى بما تهوى نفسه أو لأي غرض غير صحيح ، والجاهل لا يستطيع أن يصل إلى الحق الذي أراده الله . وللدليل شرط العلم قوله تعالى : **{فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}** [النحل: 43] ، وللدليل شرط العدالة قوله : **{إِنْ**

جاءكم فاسق بنباً فتبينوا } [الحجرات: 6]، فمقتضى هذه الآية : قبول خبر العدل ورد خبر الفاسق . وقد أطلت البحث في هذا الموضوع لعظم حاجة الناس إليه ، والله الموفق للحق والصواب .

---

1- ما وضعته بين قوسين ؟ فهو متن كتاب " شرح الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين "

2- أخرجه البخاري في " صحيحه " ( 100 ) ، ومسلم في " صحيحه " ( 2673 ) .

3- لقاءات الباب المفتوح .